



في مصطلح "الأدب" الوجيز": مقدمة ونماذج

أ.د. عبد النبي اصطيف 
أديب وكاتب سوري

"الأدب الوجيز" مصطلح مؤلف من حدين أولهما "الأدب"، ذلك الفن الجميل،
وثانيهما صفة "الوجيز" مُحدداً له، حتى لا يختلط بغيره من أشكال أو أجناس الأدب غير
الوجيز.

ولننظر بداية في الحد الأول وهو الأدب.

"الأدب" فن جميل، بل هو أحد أقدم الفنون الجميلة الستة المعروفة، أو السبعة
عندما تضاف إليها السينما، أو الثمانية عندما تضاف لها الرسوم المتحركة. وأداة
الأدب هي اللغة الطبيعية، أي اللغة الإنسانية، تمييزاً لها من اللغات الاصطناعية التي
تستعملها الفنون الأخرى.

هرمية Hierarchy تتسّم فيها الذروة، في
حين تُبقي السفوح للوظائف الأخرى.
ومعنى هذا أن الإنشاء اللغوي الإنساني
لا يصبح أدباً إلا عندما تسوده الوظيفة
الجمالية. ولكن كيف لهذه الوظيفة أن
تسود الوظائف الأخرى دون أن يكون
الكاتب متمكناً من الأداة اللغوية،
وقادراً على التحكم الوظيفي بها؟ إن

واللغة في الأدب، كحالها في
مختلف الإنشاءات الأخرى، تؤدي
وظائف مختلفة، غير أن ما يميز
وظيفتها في الأدب عن وظائفها في هذه
الإنشاءات، هو هيمنة الوظيفة الجمالية
في الإنشاء الأدبي على سائر الوظائف
الأخرى، بل تحكمها بها. ذلك أنها
تشكل مع مجموع هذه الوظائف

- فأما غير الوجيزة فتشمل:
1. الملحمة Epic التي تعد من أقدم الأجناس الأدبية الطويلة ويغلب عليها الشعر.
 2. المسرحية Drama وربما كانت المسرحية اليونانية أقدمها، وكانت تكتب شعراً حتى عهد قريب، ولم تُنَّج نثراً إلا في العصر الحديث.
 3. والرواية The Novel التي تعد من أقدم الأجناس النثرية ويرد بعضهم نشأتها إلى العصر الروماني (*الجحش الذهبي* - لأبوليوس لوشيوس)، في حين يرد آخرون هذه النشأة إلى ما قبل ذلك - إلى الشرقيين.
 4. والقصيدة Ode (المدحية بصورة خاصة)، والغالب عليها الطول حتى في الآداب الأوربية.
 5. والنوفيللا The Novella (أو الرواية القصيرة) والتي تقع عادة بين عشرين صفحة ومئة صفحة، فتتميز عندما تكون قصيرة إلى القصة القصيرة الطويلة، وعندما تطول إلى الرواية القصيرة.

ويقع كذلك على أجناس قصيرة أو وجيزة من مثل:

1. القصة القصيرة وهي من أحدث الأجناس الأدبية القصيرة/أو الوجيزة/ عهداً، إذ تعود نشأتها إلى أواخر القرن

عليه أن يمتلك القدرة competence التي تحدت عنها نعوم تشومسكي، والتي تمكنه من أن يرتقي بأدائه الإنشائي performance، أي بنصه الذي ينتجه، إلى الدخول إلى مملكة الأدب.

والتمكن من اللغة يعني في الحقيقة الفهم العميق للنظام اللغوي langue الخاص بلغة الكاتب، والذي يجعله قادراً على التوظيف الأمثل لما ينطوي عليه هذا النظام من قدرات على مختلف المستويات: المعجمية، والصوتية، والفونولوجية، والصرفية، والتركييبية، والدلالية، والإنشائية، والتداولية. وليس معنى هذا أن يكون عالماً باللسانيات الحديثة، وإنما أن يكون على خبرة بهذه المستويات والوجوه اللغوية - خبرة يكتسبها بالممارسة أو المدارسة، وإلا فإن تدبره لأداته سيكون تدبر الهاوي غير الخبير، الذي يتخبط في استعماله للغة ويحسب أنه يحسن صنعاً.

ولنمض إلى الحد الثاني وهو صفة "الوجيز"، ولننظر فيما يقدمه منظرو الأدب من تصنيفات لأجناسه استناداً إلى هذه الصفة المتصلة بطول الإنشاء الأدبي، أو بحجمه، أو عدد كلماته.

يقع الناظر إلى تصنيف مُنظري الأدب للأجناس الأدبية على أجناس طويلة، أو غير وجيزة، وأخرى قصيرة أو وجيزة.

• طبيعة الحياة المعاصرة التي يغلب عليها السرعة.

• طبيعة الإنسان المعاصر الذي يميل إلى اختصار كل شيء محضاً بمجاعة إيقاع السرعة في حياته.

• استسهال الكتابة الأدبية، وبخاصة لدى الشباب الناشئين.

• الرغبة لدى بعض الكتاب في لفت الانتباه، والتميز، على مبدأ "خالف تعرف".

والواقع أنه على الرغم من افتتاح أجيال عديدة من كتّاب القصة القصيرة في بلاد الشام والوطن العربي بما قدمه روّادها من إنجاز متميز متألق في هذا الجنس الصعب من الأجناس الأدبية المستلهمة من "الأخر"، فإنه كان باستمرار يبدو لهذه الأجيال على أنه تحدٍ جاد لمواهبهم، يمنحهم فرصة التجاوز ويتوعددهم في آن معاً بإحباط العجز. ومصدر هذا التحدي هو تجاوز هؤلاء الروّاد المستمر لأنفسهم بحثاً عن الصوت الخاص بكل منهم الذي يخلق من إنجازهم السامي معياراً يقلقل ما هو سائد ومقبول، ويحل محله، باعتزاز الصانع الأملر وثقته بحسن صنعه.

والمعروف أنّ بعض كتّاب القصة القصيرة قد بدؤوا، في ربع القرن الأخير، بإنتاج قصص جد قصيرة، ولكنها في الوقت نفسه مترعة

الثامن عشر، خاصة أن هذه النشأة قد تزامنت مع ظهور الصحافة، في حين يردّها بعض الدارسين العرب إلى المقامة.

2. والقطعة وهي لا تعدو الأبيات المعدودة، وهي لذلك قديمة قدم الشعر الغنائي نفسه، والشعر الجاهلي لدى العرب.

3. والمثل وهو جنس أدبي عالمي، والغالب فيه اقتصاره على جملة واحدة، وقد يتجاوزها في بعض الأحيان، يلخص تجربة حياتية تبدو أنموذجية بالنسبة إلى شعب ما، أو مجموعة بشرية ما؛

4. الإبيغراف Epigraph، النقش على عملة، أو عبارة مُستمدّة من أعمال أدبية وغير أدبية سابقة، يُستلهم مغزاها في عمل أدبي لاحق، ويُصدّر بها.

5. والقصة القصيرة جداً وهي من أحدث الواقدين إلى دائرة الأجناس الأدبية الوجدانية، وهي جنس مختلف فيه منذ نشأته في العقدين الأخيرين، إذ يرفضه بعضهم جملة وتفصيلاً؛ في حين يدافع بعضهم عنه دفاعاً مستميتاً، متأسيماً، ربما، بشعر الهايكو(1) Haiku الياباني. ولا يزال بحاجة إلى محامين أكثر كفاءة من بعض منظريه وممارسيه.

وثمة عوامل تكمن وراء نشأة وشيوع الأجناس الوجدانية ربما كان من أبرزها:

والواقع أن القصة القصيرة جداً ليست غير "لقطة تحمل فكرة" تحاكي لقطة المصورّ الخبير الذي يختار موقعه بدقة شديدة، ويؤطر صورته على نحو يقدم فيه ما يقدم، ليكون أمامية foreground الصورة، ويدفع إلى خلفيتها background ما يريد أن يكون أرضية تبرز أمامها الرسالة التي يود نقلها إلى قارئه بكل غنى الدلالات والإيحاءات والمعاني التي تنطوي عليها.

ذلك أن القصة القصيرة جداً هي هذه القصة/الصورة، المشحونة بطاقات تعبيرية هائلة تطلق العنان لقارئها ليشارك كاتبها في دفع آفاق دلالاتها طولاً وعرضاً، ويخلق من خلال مشاركته هذه عالماً رحباً فسيحاً من التجارب الإنسانية التي قد لا تستوقف الواحد منا، ولكنها في الوقت نفسه تستثير الكاتب ذا العين الثاقبة والرؤية النفاذة والحساسة المرهفة فيتبين ما تنطوي عليه من معان ودلالات يسعى إلى أسرها بنصه الموجز المعجز، السهل الممتع، الذي يشبه إلى حد بعيد الرقاقة الإلكترونية التي ينطوي فيها عالم فسيح من المعلومات والمعرفة.

والمرحوم عادل أبو شنب، الذي امتد عطاؤه أكثر من نصف قرن: قصصاً قصيرة وروايات وبحوثاً

بالدلالات، مفعمة بالإيحاءات، غنية بالتضمّنات التي تنطوي عليها، مما يفسح المجال واسعاً أمام قارئها للمشاركة في توليد هذه الدلالات وتلك الإيحاءات وإنتاجها وفقاً لنظام الدلالات المتماسك Coherent Signifying System الذي يتجسد في كل قصة من هذه القصص القصيرة جداً، والتي تكون كل منها درة ثمينة متألفة لطالما فتنت القارئ بما تشتمل عليه من سحر وغنى، وبما تفتح عينيه عليه من واقعه الذي حجب عنه بالمألوفية Familiarity التي تبلد الحواس والأحاسيس والمشاعر.

وقد رأى الجيل الأحدث من كتاب القصة القصيرة في سورية بصورة خاصة في هذه القصة القصيرة جداً التي خرج بها هؤلاء الرواد على قرائهم فرصة لمواجهة التحدي، فانطلقوا، بثقة بالنفس مبالغ فيها، ينتجون قصصاً قصيرة؛ ينشرونها في مجموعات على نفقتهم الخاصة، ويناقشونها في مؤتمراتهم الخاصة بهم وبأعضاء ناديهم، الذي سعوا إلى تمييز أنفسهم من خلاله، مما عرضهم للكثير من النقد حيناً، ولفنون من السخرية والهزء اللذين لا يليقان بعملية الإنتاج الأدبي في أي مجتمع يزعم الانتماء إلى الألف الثالثة، أحياناً أخرى.

يوظف لمناقشة هذه الفكرة التي ينبغي أن تعطى حقها من الإتيان. لأن القصة القصيرة جداً ينبغي أن تكون قصة ناضجة متكاملة، وإذا ما جاءت قصيرة جداً ومختزلة فإن ذلك لمجاراتها روح العصر - عصر السرعة.

ولينظر القارئ على سبيل المثال إلى قصة "الشجاعة" (1) (ص 36) التي تتناول حدثاً يومياً بسيطاً لم ينج من شهوده أي منا، وهو مشاكسة طالب كسول لمدرس في لحظة غفلة منه وما يتلوها عادة من عقوبة جماعية يعاني منها الصف كله، لأن أياً من أفرادها لم يجرؤ على أن يشي بصاحب هذه المشاكسة لدوافع متنوعة تتراوح بين التضامن الأجوف مع الجماعة

وبين الخوف من ردة فعل مرتكبها. لقد استطاع عادل أبو شنب من خلال مخالفة توقعات القارئ، الذي ألف الموقف، والانعطاف بها بدفع تلميذ صغير إلى افتداء أترابه باعتراف ملفق تطغى شجاعته فيه على جبن الطالب المشاكس الذي كان أكبر الطلاب وأغلظهم، ليضع القارئ أمام المفارقة اللافتة للانتباه التي تجمع شجاعة الضعيف وجبن القوي، وتجاهل العارف ومعرفة الجهلة، وما يولده ذلك كله من مشاعر وأحاسيس متباينة في نفوس شخصيات القصة وقراءها في آن معاً.

ودراسات، فضلاً عن نقده الصحفي وزواياه البرقية المفعمة بالظرف ودقة الملاحظة والنقد المبطن والصريح، استفزته فيما يبدو محاولات الجيل الأحدث من كتّاب ما بات يُعرف بالقصة القصيرة جداً أو بمختصرات مسعاه (ق.ق.ج)، والذي لم يتمخض، في رأي بعض نقاده، عن سمين ينفع البلاد والعباد، فأراد أن يقدم لقصاصه درساً عملياً في إنتاج القصة القصيرة جداً، فكان لنا من هذا الدرس العملي مجموعته "المفترج (2) التي طبعت أكثر من مرة منذ صدورها عام 2007م، والتي تستحق وقفة متأنية في معرض الحديث عن "الأدب الوجيه".

يبين عادل أبو شنب في تصديره لمجموعته (ص 11 - 13) مسوغاته لخوض تجربة كتابة القصة القصيرة جداً، فيذكر برمه بالمطولات مستأنساً بغيره من القراء، ومذكراً قارئه بأن العصر بات عصر السرعة، وأنه بات من المستحسن ألا تستغرق القراءة فيه لأية مادة الدقائق المعدودة، غير أنه من ناحية أخرى يُنبئ القارئ، وربما زملاءه من كتّاب القصة القصيرة عامة، أن كتابة القصة القصيرة جداً ليست مهمة سهلة، لأنها، على اختزالها، ينبغي أن تنطوي على فكرة تُصاغ بكلمات قليلة، أي أنها إنشاء مكثف جداً

وأما قصة "العشق" (ص ص 20 - 21) فإنها تعالج فكرة الغيرة التي تتاب الفتاة المراهقة ابنة الثالثة عشر من قطتها التي اتخذتها صديقة أثيرة لديها، مبددة الحواجز التي يصطنعها الكبار ما بين عالمي الإنسان والحيوان، حتى أنها تتناول طعامها معها. وتتناول كذلك ردة فعلها على عودة قطتها، يرافقها عاشقها بعد غيابها المفاجئ، بضربها للقطّة بشدة للمرة الأولى في حياتها، وردة فعل القِطّ العاشق الذي لم يكن يملك إزاء جبروت الفتاة الغاضبة غير المواء الغاضب والأجش، فيكتفي بأضعف الإيمان في إنكاره للمُنكر الذي أتته الفتاة، التي ذكرتها عودة قطتها مع رفيقها بما ينقصها، وأيقظت في نفسها الحنين إلى "الأخر" الذي فطرت عليه بوصفها بشراً سوياً.

وأما قصة الانتقام (2) (ص 27) فإنها تلفت النظر إلى ظاهرة "السلطة" في المجتمع العربي وبخاصة في الدوائر الرسمية، حيث تهيمن الطبقية الوظيفية على العلاقات الإنسانية وتفسدها بما تتطوي عليه من مظاهر النفاق والعنف الذي يتلقاه الأدنى في سلّمها بالصبر دواءً لأبد منه لتمير سنوات الخدمة، بسبب الحاجة إلى راتب الوظيفة الذي لا يمكنه العيش دونه. غير أن ساعة الحقيقة تأتي عندما يُحال هذا الأخير على التقاعد، ومن ثمّ يزول تأثير

السلطة فيه، وينعدم نفوذ المدير لديه، فيدخل على مديره ويؤجّه له لكمة تختزل كل ما اختزنه في نفسه من غضب وحقد تجاه مديره، الذي يرى نفسه عاجزاً أمام الأذن الذي كان يعنّفه باستمرار في السنوات الخالية، إذ بات خارج دائرة نفوذه، ولا سبيل إلى رد لِكُمته، وما رافقها من ضحك وقهقهة إلا بتحوّله إلى أسير للحيرة والدهشة والغضب مخافة تكرار اللكمة. فقد استعاد الأذن حريته، وقرر، ونفّذ، الانتقام لأيام ذله.

و"الحياة" (ص 43)، قصة قصيرة جداً أخرى تحمل الكثير من المعاني والدلالات التي يولدها في نفس القارئ مشهد المرأة وابنها، الذي حير الأم بسؤاله المفاجئ عن الحياة - هذا السؤال الذي لم تجد له جواباً إلا في الإشارة إلى ما فعلته الموجة العاتية بالبيت الرملي الذي أنفقت سحابة نزهتها مع ابنها في صنعه.

وكذا الشأن في قصة "الدهشة" (ص 105)، القصيرة جداً كذلك، وما تتطوي عليه من رغبة في بناء أسرة جديدة هي امتداد للأسرة القائمة، تنتهي بتحطيم هذه الأسرة وتفكيكها، بسبب نزوة أملتها أنانية أب غفلت عن حقوق حتى أقرب الناس إلى صاحبها - الابن الذي خرج من صلبه، والذي قرر أن يترك بيت أبيه إلى

الأبد بعد أن طرد من فسحة كانت له في قلب هذا الأب، الذي فتن بجمال من أرادها زوجة لابنه، فخطبها لنفسه، غافلاً عن رغبة رفيقه الذي سيفقده إلى الأبد.

أما قصة "النوم" (ص 118)، فتطوي على مفارقة مثيرة فيها حين تجمع بين السهر والتفكير في الحبيب واستحضاره من جانب، وبين الاستسلام لسلطان النوم في حضرة الفتاة -الحلم من جانب آخر. وبمقدار ما تحمل هذه المفارقة من الشعور بالإشفاق على هذا الحبيب السيئ الحظ، تحمل في الوقت نفسه خوفاً من أن يحدث للقارئ ما حدث له، يتلوه ارتياح، أو تطهير

هوامش:

1- الهايكو قصيدة يابانية مؤلفة من سبعة عشر مقطوعاً موزعة على ثلاثة أبيات: الأول منها مؤلف من خمسة مقاطع، والثاني من سبعة مقاطع، والثالث من خمسة مقاطع، وهي شكل شعري غير مقفى، انفصلت في القرن السابع عشر عن قصيدة أطول تُعرف بتانكا Tanka، وغدت معروفة في القرن التاسع عشر. من أمثلتها المشهورة:

من أن لأن،

تمنح الغيوم راحة،

إلى مُحبي القمر.

2- عادل أبو شنب، *المتفريح* (الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007).